

ظهرت الروايات العربية الأولى في سنة 1847 للميلاد و كانت منذ نشأتها تحت تأثير عاملين : الحنين إلى الماضي و الإفتتان بالغرب و الخضوع لهيمنته في بداية القرن العشرين إتسم عدد من الروايات التي كتبت بمراعاة الذوق الشعبي والثقافي للعرب فظهرت روايات جورجى زيدان التاريخية المشهورة وخطت الرواية العربية خطوة جديدة على يد أمثال جبران خليل جبران وأمين الريحاني ثم ميخائيل نعيمة و في عام 1911 صدرت رواية زينب لهيكل و هي التي يعتبرها نقاد الأدب الروائي منعطفًا هامًا في مسار الرواية العربية .

و يرى الناقد مصطفى عبد الغني " إن ظهور الرواية في الوطن العربي إرتبط بعاملين أيضا، أحدهما أثر كل من مصر و لبنان في نشأة هذا الجنس الأدبي سواء في درجة التأثير بالغرب أو التأثير في الأقطار العربية أما العامل الآخر فهو أن تطور هذا الفن الروائي إرتبط في ظهوره بتطور الإتجاه القومي العربي ونضجة أكثر من أي عامل آخر في الروايات التي كتبت¹ بدء من عام 1847 وحتى بداية القرن العشرين ، كانت موزعة بين أسلوب المقامات ولغتها الزخرفية وإحتوائها على كم هائل من المعلومات غير المتجانسة .

و بين الوقوع تحت تأثير الروايات الغربية الرديئة و التي كانت حسب إختيار صغار المترجمين مليئة بالغرائب و الأوهام و غارقة في العاطفة و الخيال .

إن الرواية تشكيل للحياة و يعتمد في هذا التشكيل على حدث الناس من خلال شخصيات متفاعلة مع حدث الناس من خلال شخصيات متفاعلة مع الأحداث والوسط الذي تدور فيه هذه الأحداث و دفع الآخرين إلى مشاركتها و إنتقال تجاربه وأحاسيسه بالآخرين .

¹ - فاطمة موسى : الأعمال الكاملة في الرواية العربية ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الهيئة المصرية ، 1997 العامة ، للكتاب ، ص 52-53 .

كما تعد من الحاجات الفطرية للإنسان و هو ينقل هذه الحاجة إلى عالم الخارج بطرق مختلفة ، فالرواية العربية المعاصرة متأثرة من الروايات العربية بخو كبير في الحقيقة تارة الأدباء العرب .

"إن نشأة الرواية في الأدب العربي ترتبط ارتباطا مباشرا بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي ، خاصة مصر ، و بعد العصر العباسي وبداية الحكومة العثمانية وبعده في القرون الثلاثة التي سيطر عليها و تعطلت الحركة الأدبية بل تحجرت و إنحرفت وهدمت المدارس و إنتهى الحكم التركي على مصر و من هنا أصبح الأدب في حالة من السقم قارب الموت فكانت تمثله نماذج

سرية و شعرية ، و قد كانت أغلب النتائج الأدبية لتلك الفترة تدور حول المدائح ليس وراءه أي صدق¹ ، إحساس أو فنية تغيير النبوية و الأمور الأخوانية .

لقد عوملت الرواية في بداية نشأتها بوصفها أدبا عاميا لا يرقى إلى ما تتمتع به أجناس أخرى كالشعر و المسرح ، و الخطابة من مكانة سامية لدى الأوساط الرسمية و الأدبية الغربية التي عاصرت بداية التأليف العربي ، لأنها تعتمد على الحكايات الشعبية و ظلت الرواية في حرصها على إثبات الوجود فترة طويلة من الزمن إلى أن تمكنت في عصر الطباعة من تصدر الإنتاج الثقافي من حيث جذب القراء و حجم المبيعات و الإنتشار السريع و خصوصا في القرن² التاسع عشر الذي يعد العصر الذهبي لزمن الرواية و كان هذا التطور مرهونا بخصوصية الرواية العربية.

¹ - السرد في الرواية المعاصرة : الكردي عبد الرحيم ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، 2006 ، ص 23 .

² - الكردي عبد الرحيم : السرد في الرواية المعاصرة ، مكتبة الأدب ، القاهرة ، 2006 ، ص 54 ، 55 .

تشكلت من خلال خصوصية إبداع روائي ذاتي و كذلك من خلال إبداع روائي قومي موضوعي ، لذا كان أمرا طبيعيا أن نرى تعددا للخصوصية من حيث طبيعتها الإبداعية الذاتية الفردية ، كما نرى أحادية للخصوصية من حيث طبيعتها القومية الموضوعية و لهذا فإن تحديد الخصوصية الروائية العربية ليس فقط قضية ذاتية أحادية محضة ، بل تتضمن جدلا بين الذات و الموضوع .

و الحق أن الرواية العربية قد نشأت مع سؤال مهم هو العدوانية بالإضافة إلى ما كانت تستشعره الذات العربية من قهر الدول الأوروبية المحتلة من التقدم المعرفي و العلمي و الحضاري للدول المختلة ، لذا كان رجوع الذات العربية إلى ماضيها القديم سواء أكان في تاريخها السياسي أم في تراثها الثقافي ، و شكل هذا الرجوع خصوصية للرواية العربية لأنه إثبات للذات من جهة وللتطور الفني من جهة أخرى مثل رواية جورجى زيدان في أواخر القرن التاسع عشر¹ ، و نستطيع أن نتابع ذلك من خلال الروايات التاريخية الأولى و دليل ذلك التطور أن العودة إلى التاريخ قد بدأت بسرد للأحداث التاريخية سردا تقريرا أحادي الإتجاه من " الغيطاني" تطورت لتصبح بنية متراكبة تعددت من خلالها الرؤى و الأصوات كما في روايات الروائيين العرب ، و يجب التنبيه على أن مواجهة الأنا القومية للآخر الغربي لم تقتصر على العودة إلى التاريخ و إنما تعدت ذلك إلى المواجهة ذات الطابع السياسي والنضالي المباشر و قد زحزت الزاوية العربية بذلك كالروايات التي جسدت ما تعانيه فلسطين و غيرها من البلاد العربية .

¹ - المرجع السابق ، ص 20 .

لقد كانت خصوصية الرواية العربية متعددة فمنها ما يعود إلى السرد الفني أو الدلالة و منها ما يعود إلى التطلع للتححرر من التخلف و القهر و القمع لأجل تحقيق ذاتيتها الفردية و الإجتماعية ، كما أن المشترك بين هذه الخصوصيات هو البحث عن الخصوصية و الهوية المفقدة و السعي إلى إستكمالها وتحقيقها وتأكيدا وقد إرتبطت الرواية العربية في مسيرتها لتحقيق خصوصياتها بمعركة الدفاع عن الحرية والإزدهار و تطور الإبداع الروائي في البلاد العربية .

لذا حققت إنجازات إبداعية في الوصول إلى خصوصيتها الفطرية و القومية عددا مهما من الروائع الروائية التي تمحورت ، و إستطاعت أن تقدم للأدب العربي حولها نتاجا كبيرا من الدراسات و الأبحاث النقدية و ترجم عدد منها إلى لغات العالم وحظيت بالتقدير المرجو على أكثر من صعيد ¹ ، و بهذا أصبح للرواية العربية دور مهم وصلت من خلالها إلى العالمية وليس أدل على ذلك من فوز العديد من الروائيين العرب بجوائز الدول التقديرية و الشجعية .

كما إن سبب الإهتمام بالرواية و إنتشارها في العصر الحديث يكمن في أنها عمل مستمر و في تطور دائم و هي " هوى" تتناسب شكلا و مضمونا مع فكر الإنسان ورؤاه و هذا ما جعل الإنسان في حاجة إليها دوما مما نتج عنه كما يدرس الحياة العيانية للإنسان و يحميه ضد "جوهر الروحانية" : هو "سرل" المعرفة هذا الهوى الذي يعده هيرمان بروخ وها هو عالم الحياة تحت إنارة مستمرة بهذا المعنى نسيان الكائن و يضع و هذا هو مبرر وجود الرواية .

¹ - عطية أحمد محمد : أصوات جديدة في الرواية الغربية ، الهيئة المصرية ، العامة للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص 17-18 .

إن الرواية يمكنها وحدها أن تكتشف ما لم يكتشفه سواها و بذلك فإن المعرفة هي أخلاقية
الرواية تكتشف جزء من الوجود ما يزال مجهولا هي رواية لا أخلاقية وعلى هذا فقد إستطاعت
الرواية دون غيرها أن تتحدث عن المهمتين والمعذبين والبؤساء و الفقراء بل إتخذت منهم أبطالاً
في كثير من نماذجها في الوقت الذي يتجاهلهم فيه ضاع التاريخ الحقيقي للشعوب ويمكن القول
إن الرواية في عصرنا تعد إحدى أهم الوسائل التي يمكن من خلالها قراءة المجتمع بتفاصيله
والراصد لفن الرواية و همومه كما إنها تسجل أحداث الأمم و تسعى دائما إلى تحقيق كيائها وبناء
مستقبلها يدرك نهوضا و ثراء متنوعا في الرؤى و التقنيات الفنية على مستوى العالم والوطن
العربي على حد سواء .